﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾ [الأنعام: 90]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

رَبْطُ ذِكْرِ الأنبياءِ بهدايتِهم، وضَرورَةُ القدوةِ بهم احتسابًا وتذكيرًا للعالَمين

جاءتِ الآيةُ الكريمةُ بعد "أن ذكرَ ﷺ الأنبياءَ، من ذرِّيَّةِ إبراهيمَ ومَن قبلَه، وما اختصَّ به بعضَهم منَ الصَّبرِ وشكرِ النِّعمةِ، والعدالةِ في القوَّةِ، وبعضَهم منَ الزُّهدِ والرَّوحانيَّةِ، وبعضَهم منَ الصِّدقِ في القولِ والوعدِ، بيَّنَ اللهُ تعالى أنَّ أولئك الأنبياء نالوا هدى اللهِ، وصبروا على أقوامِهم، وأنَّه حقٌّ على محمَّدٍ خاتمِ النَّبيِّينَ أن يقتديَ بهم"[1]، واسمُ الإشارةِ رابطٌ للآيةِ بما سبقَها.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱقۡتَدِهۡۗ﴾: (قدو) أصلٌ يدلُّ على اقتباسٍ بالشَّيءِ واهتداءٍ، ومُقَادرةٍ في الشَّيءِ، حتَّى يأتيَ به مُسَاويًا لغيرِه، والاقتداءُ: الاتِّباع، ومنه الاقتداءُ بإمامِ الصَّلاةِ، وذلك أن يتَّبعَ أفعالَه، فلا يتقدَّمُ عليه، ولا يتأخَّرُ عنه، ولا يزيدُ عليه، ولا ينقصُ عنه[2]، وقولُهُ تعالى: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾؛ أي: موافقتُهم "في سلوكِ الطَّريقِ الَّذي سلكُوه، والهدى الَّذي اتَّبعوه، والمنهجِ الَّذي نهجوه"[3]، قال الأخفشُ: "وكلُّ شيءٍ من بناتِ الياءِ والواوِ في موضعِ الجزمِ، فالوقفُ عليه بالهاء ليلفظَ به كما كانَ"[4]، ومعنى (اقتده)، يا محمَّد ﷺ؛ "أي: فاعملْ، وخذْ بهِ، واسلكْه، فإنَّه عملٌ للهِ فيه رضًا، ومنهاجُ مَن سلكَه اهتدى"[5].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/182 - 183، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2582.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (قدو).
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2583.
(4) الأخفش الأوسط، معاني القرآن: 1/307.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 11/519.

2) ﴿أَجۡرًا﴾: (أجر) أصلٌ يدلُّ على الكِرَاءِ على العملِ، الأجرُ: جزاءُ العملِ. والإجارةُ: ما أعطيْتَ مِن أجرٍ في عملٍ، وهو ما يعودُ من ثوابِ العملِ دنيويًّا كان أو أخرويًّا[1]، "والأجر أصله: الثَّواب، وسمَّى اللّهُ تعالى المهرَ أجرًا، فقال: ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [النّساء: 25]، ومعنى قوله: ﴿أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖ﴾ [القصص: 27]؛ أن تجعلَ مهرَ ابنتي رعيك غنمي ثماني حجج، فكأنَّه قال: تثيبني من بضعِها رعي الغنم"[2]، وقوله تعالى: ﴿لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾؛ أي: "لا أطلبُ على تبليغ الرِّسالةِ جُعْلًا"[3].

3) ﴿ذِكۡرَىٰ﴾: (ذكر) أصلٌ ضدُّ النِّسيانِ، حُمِلَ عليه الذِّكرُ باللِّسَانِ، ويَقُولُون: اجعلْهُ منكَ على ذُكْرٍ، بضمِّ الذَّالِّ؛ أي: لا تَنسَهُ، والذِّكْرَى: كثرةُ الذِّكرِ، وهو أبلغُ منَ الذِّكر[4]، قال الزَّجّاج: "فأمَّا ذِكْرَى فمصدرٌ، فيه ألفُ التَّأنيث، بمنزلةِ دعوتُ دعوى، وبمنزلةِ رَجَعْتُهُ رُجْعَى، واتَّقَيْتُ تقوى، إلَّا أنَّه اسمٌ في مَوضِعِ المصدرِ"[5]، والذِّكرى الذِّكر، والمرادُ بها هنا ذِكرُ التَّوحيدِ والبعثِ والثَّوابِ والعقابِ[6]؛ "أي: عظةٌ وتذكيرٌ"[7].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بيَّن اللّهُ تعالى أنَّ "أولئك الأنبياء، ومَن ذُكِرَ معهم مِن آبائِهم وأبنائِهم وإخوانِهم، هم أهلُ الهدايةِ حقًّا، فَاتَّبِعْهُم وتَأسَّ بهم، وقل – أيُّها الرّسول – لقومِكَ: لا أطلبُ منكم على إبلاغِ هذا القرآنِ جزاءً، فالقرآنُ ليسَ إلَّا موعظةً للعالَمين مِنَ الإنسِ والجنِّ؛ ليسترشدوا به إلى الصِّراطِ المستقيمِ، والطَّريقِ الصَّحيحِ"[8].

الأنبياءُ أهلُ هدايةٍ وقدوةٍ، فعليكَ التَّأسِّي بهم غيرَ منتظرٍ جزاءً ولا شكورًا

(1) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (أجر).
(2) الهرويّ، الزّاهر، ص: 167.
(3) الخازن، لباب التّأويل: 2/133.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (ذكر).
(5) الزّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 2/316.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/360.
(7) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/160.
(8) جماعة منَ العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم: 1/138.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

براعةُ الاستئنافِ في قولِهِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ﴾:

الجملةُ في قولِهِ تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ جملةٌ استئنافيَّةٌ "قُصِدَ من استئنافِها استقلالُها للاهتمامِ بمضمونِهَا، ولأنَّها وقعَت مَوقعَ التَّكريرِ لمضمونِ الجُملتينِ اللَّتينِ قبلَها، جُملةِ: ﴿وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾، وجُملةِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ﴾، وحَقُّ التَّكريرِ أن يكونَ مَفصولًا، ولِيُبنى عَلَيها التَّفريعُ في قولِهِ: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾"[1].

الإشـــــادةُ والـتَّـنـويـهُ والاقتداءُ معانٍ جـوهـريَّـةٌ في البلاغِ عنِ اللهِ

دلالةُ التَّعبيرِ باسمِ الإشارةِ في قولِهِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾:

اسمُ الإشارةِ في قولِهِ تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ﴾ للأنبياءِ المذكورينَ سابقًا[2]، والإشارةُ "إلى ما كانُوا عليه من صفاتِ الصَّبرِ والشُّكرِ والزُّهدِ والصِّدقِ والتَّوحيدِ ومجالدةِ المنكرِ والصَّبرِ على أذى المعاندينَ، فالإشارةُ إلى أشخاصِهم المتَّصفين بهذه الصِّفاتِ العليا، وهي أساسُ هدايةِ اللهِ"[3]، وقد عبَّرَ عنهم باسمِ الإشارةِ للبعيدِ، لِمَا "فيه من معنى البُعدِ؛ للإيذانِ بعُلوِّ رُتبتِهم"[4]، وقد تكرَّر اسمُ الإشارةِ مع الآيةِ السَّابقةِ للتَّأكيدِ على "تمييزِ المُشارِ إليه، ولِما يقتضيه التَّكريرُ منَ الاهتمامِ بالخَبرِ"[5].

المـقـتـدَى بهِم وأئـمَّـةُ الـهدى هـــم أهـــلُ المقاماتِ العاليةِ لمآ اتَّصفوا به

بلاغةُ القصرِ بتعريفِ طرفي الإسنادِ:

في قولِهِ جلَّ شأنُه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ﴾، جاءَ المسندُ والمسندُ إليه معرفتين؛ للدَّلالة على القصرِ، فقَصَر "جنسَ الَّذين هداهُمُ اللهُ على المَذكورين تَفصيلًا وإجمالًا؛ لأنَّ المهديِّين منَ البشرِ لا يَعدُونَ

الـهـدايـةُ أكـبرُ عـطـاءٍ، وهـي الأحـــــرى بالتَّخصيصِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/354.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/160.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2583.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/160، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 7/183.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/355.

أن يكونوا أولئك المُسَمَّينَ، ومِن آبائِهِم وذُرِّيَّاتِهِم وإخوانِهِم"[1]، فهم مخصوصونَ بهدى اللهِ تعالى العظيمِ، والدَّليلُ على أنَّ قولَهُ: ﴿هَدَى ٱللَّهُۖ﴾ يدلُّ على التَّخصيصِ، أنَّه "لو هدى جميعَ المُكَلَّفين لم يكن لقولِه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ﴾ فائدةٌ وتخصيصٌ"[2]، والقصرُ حقيقيٌّ، قصر صفةٍ على موصوفٍ، وفي القصرِ تعظيمٌ للهِدايةِ، لذا جاءَ الطَّرفُ الأوَّلُ اسمًا موصولًا مخصوصًا للتَّناسُبِ مع عدمِ الشُّيوعِ، وممَّا زادَ من تعظيمِ الهِدايةِ أنَّه أضافَ الهدى إليه تعالى؛ تفخيمًا لها وتعظيمًا لشأنِها، فإضافتُها باعتبارِ الاسمِ الحائزِ لرتبِ الكمالِ[3] "تشريفٌ لمعناها، وبيانٌ أنَّه اختارَها، واختيارُ اللهِ تعالى يُوجِبُ اتِّباعَها، والسَّيرَ في طريقِها"[4].

بلاغةُ الالتفاتِ في قولِهِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ﴾:

أسندَ الهُدى إلى الاسمِ الظَّاهرِ، وكان الأصلُ أن يقولَ: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَيْنَاهُمْ)، فعدلَ عنِ الضَّميرِ إلى الاسمِ الظَّاهرِ، فقالَ: ﴿هَدَى ٱللَّهُۖ﴾ الْتِفاتًا منَ التَّكلُّمِ إلى الغَيْبَةِ، فالْتفتَ "إلى الاسمِ الجليلِ؛ للإشعارِ بعِلَّةِ الهِدايةِ"[5]، وفي ذلك تفخيمٌ للهِدايةِ ومبالغةٌ فيها؛ "إذ هِدايةُ مَن هو مُستجمعٌ بجميعِ صفاتِ الكمالِ، لا هدايةَ فوقَها، ولا احتمالَ يغيّرُه"[6]، فهي هِدايةٌ ثابتةٌ لكونِها منَ اللهِ تعالى، وفي ذلك سوقٌ للخبرِ مقرونًا بالمهابَةِ والجلالِ[7].

الالتفاتُ تنشيطٌ للذِّهن، وإعلاءٌ لشأنِ الهِدايةِ

دلالةُ الفاءِ على التَّفريعِ في قولِهِ تعالى: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾:

قولُهُ تعالى: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ دلَّتِ الفاءُ على التَّفريعِ، فالأمرُ

الهُدى هو الأجدرُ بالاتِّباعِ، والأنبياءُ قدوةٌ للأتباعِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/355.
(2) الواحديّ، البسيط: 8/268.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/183.
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2583.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/160، والآلوسّي، روح المعاني: 4/205.
(6) القونويّ، حاشية على البيضاويّ: 8/183.
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/355.

بالاقتداءِ "تفريعٌ على كمالِ ذلك الهدى"[1]، فالفاءُ تدلُّ على ترتيبِ ما بعدَها على ما قبلَها؛ "لأنَّه إذا كان ذلك الهُدى منَ اللهِ، فإنَّه يجبُ اتِّباعُه، والاقتداءُ بهم فيه"[2].

معنى الباءِ في قولِهِ تعالى: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾:

الهدايةُ أجدرُ بالاتِّباعِ حتَّى الالتصاقِ بالمهتدى بهِ

في قولِهِ جلَّ شأنُه: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾، تدلُّ الباءُ على الملابسةِ والمصاحبةِ، وهما من لوازمِ دلالتِها على الإلصاقِ، والمعنى: (اقتدِ بهم مُصاحِبًا لهداهم، ومُلتَصِقًا بسُننِهم)، وفي ذلك دلالةٌ على شدَّةِ الاتِّباعِ، كما أنَّ الباءَ تدلُّ على تقويَةِ الالتصاقِ، وتأكيدِ الاتِّباعِ، مع بيانِ الشَّيءِ الَّذي وقعَ فيه الاتِّباعُ، وهو هنا الهُدى.

فائدة إضافة الهدى إلى الضمير (هم):

الّذين يهديهِمُ اللهُ مِثالٌ معبّر عن الهداية

فائدة إضافةِ الهدى إليهم في قولِه: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ بعدَ قولِه: ﴿ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ﴾ - حيث ذكرَ أوَّلًا أنَّ اللهَ تعالى هداهم، وفي الثَّانيةِ أسند الهُدى إليهم - ؛ للدَّلالةِ على تمثُّلِهم ذلك الهدى، وتمكُّنِه منهم، وأنَّهم قد عَملوا به على ما يجبُ، حتَّى صارَ يُنسبُ إليهم، بيانًا لعُلوِّ هدايتِهم، حيثُ إنَّ خاتمَ الأنبياءِ ﷺ يُؤمَرُ بأن يقتديَ بهم عليهم السلام.

نكتةُ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ في قولِهِ: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾:

طريقُ الأنبياءِ واحدٌ، فلا اقتداء بسواهُ

قدَّم الجارَّ والمجرورَ على الفعلِ في قولِهِ تعالى: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾؛ للدَّلالةِ على التَّخصيصِ، والمعنى: "فاختصَّ هداهم بالاقتداءِ، ولا تقتدِ إلَّا بهم"[3]، وإنَّما أمرَهُ بتخصيصِ اقتدائِهِ بهم، "للاهتمامِ بذلك الهُدى؛ لأنَّه هو مَنزلتُكَ الجامعةُ للفضائلِ والمزايا، فَلا يليقُ به الاقتداءُ بهُدًى، هو دُونَ هُداهم"[4].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/355.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2583.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/43، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/160.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/355، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2583.

فائدةُ تخصيصُ النَّبيِّ ﷺ بالذِّكرِ:

الإفرادُ بالذِّكرِ؛ للتَّفرُّدِ في المكانةِ وختمِ الرِّسالاتِ

أفردَ ذكرَ النَّبيِّ ﷺ بالذِّكرِ بعدَ أن ذكرَ الأنبياءَ السَّابقينَ؛ للدَّلالةِ على "أنَّه جَمَعَ هُدى الأوَّلينَ، وأُكمِلَت له الفَضائلُ، وجمعَ لهُ ما تَفَرَّقَ منَ الخصائصِ والمَزايا العظيمةِ، وفي إفرادِهِ بالذِّكرِ، وتركِ عَدِّهِ مع الأوَّلينَ، رمزٌ بديعٌ إلى فذاذتِهِ، وتفرُّدِ مقدارِهِ، ورَعيٌ بديعٌ لحالِ مجيءِ رسالتِهِ، بعدَ مرورِ تلك العُصُورِ المُتباعدَةِ أو المُتَجاورَةِ"[1].

بلاغةُ التَّعريضِ في قولِهِ تعالى: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾:

الأحمقُ هو مَنِ استنكفَ عنِ اتِّباعِ الرَّسولِ المُقتدِي بكُلِّ المُرسلينَ

الأمرُ في قولِهِ تعالى: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ يدلُّ على متابَعَتِهِ الرُّسلَ، وأنَّه ما جاءَ بما يخالفُهم، فهو "تعريضٌ للمشركينَ بأنَّ محمَّدًا ﷺ، ما جاءَ إلَّا على سُنَّةِ الرُّسلِ كلِّهم، وأنَّه ما كان بدعًا منَ الرُّسلِ"[2].

بلاغةُ الوقفِ على هاءِ السَّكتِ في قولِهِ: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾:

الهادي المتَّبعُ المهتدين، يجبُ الاقتداءُ بهِ، والسَّكتُ عن سواهُ

في قولِهِ تعالى: ﴿ٱقۡتَدِهۡۗ﴾، وَقْفٌ بهاءِ السَّكتِ، فأشارَ بها "إلى أنَّ الاقتداءَ بهم، كانَ غيرَ محتاجٍ إلى شيءٍ"[3]، والوقفُ عليها مستحسنٌ "لثباتِ الهاءِ في المصحفِ"[4]. فالوقفُ على الأمرِ بالتَّقوى فيه تنبيهٌ بليغٌ على الكلمةِ الَّتي يقفُ عليها، والوقفُ بطريقةِ السَّكتِ، بإخراجِ النَّفَسِ في تلفُّظِ الهاءِ المهموسةِ، مع ما سبقَ بهِ من حشدٍ منَ الهاءاتِ: ﴿ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾، يزيدُ الاهتمامَ بهذهِ الكلمةِ الَّتي هي غايةُ الهُدى وثمرتُه.

دلالةُ الأمرِ بالاقتداءِ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱقۡتَدِهۡۗ﴾:

الاقتداءُ بالأنبياءِ في الأخلاقِ الفاضلةِ والصِّفاتِ الكاملةِ، ضرورةٌ ملحَّةٌ

النَّبيُّ ﷺ هو خاتمُ الرُّسلِ والأنبياءِ، ولا يجوزُ لنبيٍّ أن يقلِّدَ غيرَهُ، فكيفَ أُمِرَ بذلكَ؟ والجوابُ عن ذلك أنَّ "المرادَ الاقتداءُ بهم في جميعِ الأخلاقِ الحميدةِ، والصِّفاتِ الرَّفيعةِ الكاملةِ، منَ الصَّبرِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/355.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/356.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/183.
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/43.

على أذى السُّفهاءِ والعفوِ عنهم"، وإعطاءُ كلِّ حالٍ حقَّها من مكارمِ الأخلاقِ، وأحاسنِ الأعمالِ: كالصَّبرِ والشُّكرِ والشَّجاعةِ والحِلمِ والزُّهدِ والسَّخاءِ والحُكمِ بالعدلِ[1].

نكتةُ تركِ العطفِ في قولِهِ: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ﴾:

سـنَّـةُ جـمـيـعِ الـرُّسـلِ الـكـرامِ البلاغُ احتسابًا عـلـى الـكـمـالِ والتَّمامِ

قولُهُ تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾ استئنافٌ ذُكِرَ بعد بيانِ أحوالٍ كثيرٍ منَ الأممِ، والإيماءُ إلى نبوَّةِ الأنبياءِ والصَّالحين، وبيانُ طريقةِ الجدلِ في تأييدِ الدِّينِ، وأنَّه جاءَ كما جاءَ الرُّسلُ قبلَه؛ فلذلك ذيَّلَه اللهُ تعالى بأمرِ النَّبيِّ ﷺ، أن يخبرَ قومَهُ بأنَّه يُذَكِّرُهُم، كما ذَكَّرَ الرُّسلُ أقوامَهُم، وأنَّه جاءَ بالنُّصحِ لهم، كما جاءَ الرُّسلُ[2].

سرُّ افتتاحِ الجملةِ بالقولِ: ﴿قُل﴾:

الـكـلامُ المـهـمُّ يُـلـقَّـنُ مـنَ الله لنبيِّهِ المصطفى الأوَّاه

أمرَ اللهُ تعالى نبيَّه أن يقولَ ذلك الكلامَ بالقولِ، فقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾؛ "للتَّنبيهِ على أهمِّيَّتِهِ"[3]، وأنَّ الأمرَ بقولِ مقولٍ ما دليلٌ على أهمِّيَّتِهِ، وأنَّه يجبُ أن يُقالَ بصيغةٍ مُلقَّنةٍ.

دلالةُ نفي سؤالِهِ الأجرَ في قولِهِ: ﴿لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾:

نـفـيُ طـلـبِ الأجرِ دليلٌ على الـصِّـدقِ وإرادةِ وجهِ الحقِّ

نفى أن يكونَ طالبًا للنَّفعِ والأجرِ في تبليغِ القرآنِ؛ "تنبيهًا للاستدلالِ على صدقِهِ؛ لأنَّه لو كان يريدُ لنفسِهِ نفعًا لَصَانَعَهم ووافَقَهم"[4]، وفي ذلك بيانٌ لمقصودِ الرِّسالةِ فهو "ليس مالًا يأخذُه، ولا سلطانًا يفرضُه، ولا سيادةً يطلبُها، وإنَّما جاءَ للذِّكرى، والموعظةِ، والهدايةِ للعالَمين"[5].

فائدةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ في قولِهِ تعالى: ﴿لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ﴾:

قولُهُ جلَّ شأنُه: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾ آثرَ فيهِ التَّعبيرَ

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 8/460.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/359 - 360.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/360.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/360.
(5) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2584.

بالفعلِ المضارعِ، ولم يقُل: (ما سألتكم)؛ دلالةً على تجدُّدِ النَّفي واستمرارِهِ، وفي ذلك إشارةٌ إلى ثباتِهِ ﷺ على الحقِّ، وعن دوام تجرُّدِهِ عن الأغراضِ والمنافعِ الشَّخصيَّةِ، قالَ اللهُ تعالى مُخاطِبًا نبيَّه: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [النّمل: 79].

الاستمرارُ في الإعلانِ عن نفي الأجرِ تأكيدٌ على الثَّباتِ على الحقِّ

عودُ الضَّميرِ في: ﴿عَلَيْهِ﴾:

في قولِهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ﴾، دلَّ الضَّميرُ على القرآنِ الكريم[1]، فأُضمِرَ من غيرِ ذكرِ القرآنِ، فالضَّميرُ "راجعٌ إلى معروفٍ في الأذهانِ، فإنَّ معرفةَ المقصُودِ منَ الضَّميرِ مُغنِيَةٌ عن ذكرِ المُعادِ"[2]؛ اعتمادًا على حضورِهِ، وفي ذلك إيماءٌ إلى ظهورِ أمرِ القرآنِ.

الإضمارُ من غيرِ سبقِ ذكرِ آيةٌ على الحضورِ الدَّائمِ في القلوبِ

الغرضُ البلاغيُّ لتقديمِ شبهِ الجملةِ ﴿لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ﴾:

في قولِهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ﴾، قدَّمَ ضميرَ العائدِ على القرآن، في الجارِّ والمجرور؛ تنزيهًا للقرآنِ عنِ الامتنانِ، فإنَّه هو المقصودُ، بنفي سؤالِ الأجرِ، ولأنَّ سؤالَ الأجرِ، لو كان، إنَّما سيكونُ بسببِ القرآنِ، فهو الأصلُ في وجودِ الأجرِ من عدمِهِ.

القرآنُ الكريمُ مُنزَّهٌ عنِ الامتنانِ

بلاغةُ التَّعبيرِ في قولِهِ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ﴾:

تكرَّرَ الأمرُ له ﷺ بإعلانِ براءتِهِ من طلبِ الأجرِ في سورٍ مُتعدِّدةٍ، كقوله: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ﴾ [الشورى: 23] جريًا على سُننِ الأنبياءِ، فلمَّا "أمَرَهُ بالاقتداءِ بهدى الأنبياءِ ﷺ المُتقدِّمينَ، وكانَ من جُملةِ هُداهم ترْكُ طَلَبِ الأجرِ في إيصالِ الدِّينِ، وإبلاغِ الشَّريعةِ، لا جَرَمَ اقتدى بهم في ذلك"[3]، وفي استخدامِ لفظِ (أجْرًا) مُنكَّرًا تأكيدٌ للنَّفي "فالتَّنوين للتَّقليل"[4].

شأنُ الرُّسلِ أجمعين احتسابُ البَلاغِ المُبِينِ

(1) الآلوسّي، روح المعاني: 4/206.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/360.
(3) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 13/58، والهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 8/462155.
(4) القونويّ، حاشية على البيضاويّ: 8/185.

شبهُ كمالِ الاتِّصال:

بين قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ شبهُ كمالِ اتِّصالٍ، فالثَّانية استئنافٌ بيانيٌّ لبيانِ الغرضِ من رسالتِه، سيق للإجابةِ عن سؤالٍ نشأَ من قولِه: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾، فكأنَّه قيل: فلماذا تدعوننا إذًا؟ فقال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾، فبيَّنَ الغايةَ منَ الرِّسالةِ، وهي التَّذكيرُ والموعظةُ، وفيه تأكيدٌ لنفي طلبِه الأجرَ؛ فلمَّا قصرَه على كونِه ذكرى دلَّ ضمنًا على التَّجرُّدِ عن طلبِ الأجرِ.

دلائلُ صدقِ المبلَّغِ تقتضي تأكيدَ المعنى

بلاغةُ أسلوبِ القصرِ بأقوى أدواتِه:

قولُهُ تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ جاءَ أسلوبُ القصرِ بالنَّفي والاستثناءِ؛ لأنَّ مضمونَ الجملةِ لا يجهلُ ولا يُنكرُ[1]، وفي ذلك تأكيدٌ لكونِه مُختصًّا بالتَّذكيرِ والدَّعوةِ، وليس للأجرِ، وقصرُ القرآنِ على التَّذكيرِ هو قصرٌ إضافيٌّ، فهو ليسَ محصورًا بالتَّذكيرِ، بل فيه هدًى وموعظةٌ، وتشريعٌ وأخلاقٌ، وغيره، فهو ليسَ مُختصًّا بالتَّذكيرِ، ولكنَّه لمّا أرادَ بيانَ تجرُّدِهِ للدَّعوةِ، وأنَّه صادقٌ في نبوَّتِهِ نفى عنه طلبَ الأجرِ، وحصرَ عملَه بالتَّذكيرِ.

حصرُ المهمَّةِ في التَّذكيرِ تأكيدٌ لصدقِ الرَّسولِ

بلاغةُ الإخبارِ بالمصدرِ مُضافًا للعالَمين في قولِهِ: ﴿ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾:

الضَّميرُ ﴿هُوَ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ المرادُ به القرآنُ، وبهذا فإنَّ الذِّكرى مُسنَدٌ إلى القرآن، وهو مصدرٌ، "وحملُه على ضميرِ القرآنِ للمبالغة"[2]، فكأنَّ القرآنَ هو الذِّكرى ذاتُها، والتَّصريحُ بكوْنِ الذِّكرى للعالمين جميعًا، "يدلُّ على أنَّه ﷺ مبعوثٌ إلى كلِّ أهلِ الدُّنيا، لا إلى قومٍ دونَ قومٍ"[3]، وفي ذلك تفخيمٌ

القرآنُ ذكرى للعالَمين، والرسالةُ لِهدايَتِهم أجمعين

(1) الجناجيّ، البلاغة الصّافية، ص: 175.
(2) الآلوسّي، روح المعاني: 4/206.
(3) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 13/58.

لشأنِ النَّبيِّ ﷺ، فهو رسولٌ "للنّاسِ جميعًا أسودِهم وأحمرِهم، إنسِهم وجنِّهم"(1)، "ودَعْوَتُه ﷺ عامَّةٌ لسائرِ النَّاسِ"(2)، وهذا يدلُّ على أنَّ القرآنَ "عظةٌ وتذكيرٌ لهم كافَّةً، من جهتِهِ سبحانَه، فلا يختَصُّ بقومٍ دونَ آخرين"(3).

بلاغةُ المتشابهِ اللَّفظيِّ:

قولُهُ تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾، وقولُهُ تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [هود: 29]، جاءَ لفظُ الأجرِ في سورة الأنعام؛ لأنَّه أرادَ أن ينفيَ عمومَ الانتفاعِ، أمَّا في سورة هودٍ فقد وردَ لفظُ المالِ في مَقولةِ نوحٍ عليه السلام؛ "لأنَّ قصَّةَ نوحٍ وقعَ بعدَها ﴿خَزَآئِنُ﴾، والمالُ بها أنسَبُ"(4)، وتمامُ سياقِ الآيةِ في سورة هود: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣٠ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ [هود: 29 - 31]؛ فلمَّا ذكرَ الخزائنَ في نصِّ الآيةِ ناسبَ أن يُمهِّدَ له بذكرِ ما يناسبُه، وهو لفظُ المالِ.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(الاقتداء) و(الاتِّباع):

لفظ (تبع) أَصلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ التُّلُوُّ وَالقَفوُ، يُقَالُ: تَبِعتُ فُلَانًا؛ إِذَا تلوتَهُ وَاتَّبَعتَهُ، وأَتْبَعتُهُ إِذَا لحقتَهُ، والأَصلُ وَاحِدٌ(5)، تقول: اتَّبعتُهم: بمعنى: سرتَ خلفَهم وماثلتَهم في منهجِهم، فالاتِّباع: لحوقٌ بمتقدِّمٍ

الاقتداءُ أخصُّ من الاتِّباع، لما فيه من معنى التَّساوي مع الأصلِ في المقادرةِ

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 7/186، والهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 8/463.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/361.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/160، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2584.
(4) الأنصاريّ، فتح الرّحمن: 1/264.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (تبع).

ليلحقَ بهِ، وأمَّا لفظُ (قدو) فأَصلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ على اقتِبَاسٍ بِالشَّيءِ واهتِدَاءٍ، وَمُقَادَرَةٍ فِي الشَّيءِ حَتَّى يَأتِيَ بِهِ مُسَاوِيًا لِغَيرِهِ، والقَدو: الأصلُ الّذي يتشعَّبُ منه الفُرُوعُ[1]، "القدو: أصلُ البناءِ الَّذي ينشعبُ منه تصريفٌ"[2]، الاقتداءُ: امتدادٌ وانجذابٌ لشيءٍ ومقادرتُه حتَّى يكونَ مثلَه (قياسٌ وتقديرٌ لتحقيقِ التَّماثلِ والتَّساوي)، فالاقتداءُ أخصُّ منَ الاتِّباعِ لِمَا فيه من معنى التَّساوي معَ الأصلِ، تقول: اقتديتُ بهم، بمعنى: تبعتُهم وماثلتُهم بهدفِ المساواةِ والتَّماثلِ المُطابقِ، وليس مجرَّدَ المتابعةِ والاتِّصالِ، فالاقتداءُ متابعةُ أصلٍ سابقٍ.

(القدوة) و(الأسوة):

القدوةُ: مماثلةٌ بسلوكِ طريقِ السَّابقينَ، والأسوةُ: ترقٍّ بالسُّلوكِ نحو النَّموذجِ الأعلى

(أسو): أَصلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ على المُدَاوَاةِ والإِصلَاحِ[3]، والتَّأسِّي: هو العملُ على العودةِ إلى الأصلِ بتصحيحِ الخللِ والعودةِ إلى الحالةِ المستويةِ السَّليمةِ، والاقتداءُ: هو اتِّباعُ الفروعِ المتشعِّبةِ الَّتي تقودُ إلى الأصلِ، فالأسوةُ والقدوةُ كلتاهما تؤدِّيان إلى العودةِ إلى الأصلِ: الأسوةُ: عودةٌ من ضعفٍ بطريقةِ المماثلةِ، أمَّا القدوةُ فهي اتِّصالٌ بالأصلِ بطريقةِ الاتِّباعِ، وتُعبّرُ عنِ التَّمسكِ بالهدايةِ والعقيدةِ بالاقتداءِ، لا بالأسوةِ؛ لأنَّ الاقتداءَ فيهِ متابعةٌ للأصلِ، فهو أقوى، أمَّا الأسوةُ فتقالُ لترقِّي الشَّخصِ بسلوكِهِ ليتساوى مع آخرينَ أعلى منه في صفةٍ ما؛ فالأسوةُ تُقالُ لِمَن ظهرَ منه ضعفٌ وتقصيرٌ في سلوكٍ ما، والقدوةُ لا تقتضي الضَّعفَ، وتعبِّرُ عنِ الاتِّصالِ والارتباطِ والامتدادِ لأناسٍ سابقينَ يعدُّون أصلًا للمتكلِّم، فالاقتداءُ يأتي منَ المماثلةِ باتِّباعِ أصلٍ، وذلك بسلوكِ طريقِ السَّابقينَ لكونهم أصلًا يُتَّبعُ، فكأنَّه عندما توجدُ مسالكُ كثيرةٌ، وطرقٌ مختلفةٌ منهجيَّةٌ، يكونُ الاقتداءُ بمتابعةِ أصلٍ واحدٍ من تلك الأصولِ، فالاقتداءُ يكونُ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قدو).
(2) الواحديّ، البسيط: 8/268.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أسو).

بالأصولِ والمنهجِ، والأسوةُ تكونُ بالسُّلوكِ والمماثلةِ من حالةِ ضعفٍ، وانظرْ إلى دقَّةِ التَّعبيرِ القرآنيِّ؛ إذ قالَ تعالى: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾، فالقدوةُ: اتِّباعُ أصلٍ ليُهتدَى به، وفي قوله: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣﴾ [الزخرف: 23] فذكر: الأُمَّةَ والقدوةَ: فالأُمَّةُ هنا تمثِّلُ الأصلَ والمرجعَ الَّذي يتابعونه، ويتَّصلون به.

(الأجر) و(الجزاء):

الأجـرُ: يختصُّ بـالـنَّـافـعِ، والجزاءُ: يشملُ النَّافعَ والضَّارَّ

الفرقُ بين الأجرِ والجزاءِ: أنَّ "الأجرَ والأجرةُ، يُقالُ فيما كانَ عن عقدٍ، وما يجري مجرى العقدِ، ولا يقالُ إلَّا في النَّفعِ دونَ الضُّرِّ، نحو قولِهِ تعالى: ﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۚ﴾ [آل عمران: 199]"[1]، وأمَّا الجزاءُ فيقالُ "فيما كانَ عن عقدٍ وغيرِ عقدٍ، ويقالُ في النَّافعِ والضَّارِّ، نحو قولِهِ تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ١٢﴾ [الإنسان: 12]، وقولِهِ تعالى: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النّساء: 93]"[2]. في الآيةِ استعملَ الأجرَ؛ لأنَّه جاءَ في سياقِ المسألةِ، فالإنسانُ لا يسألُ إلَّا ما به نفعُهُ، والمختصُّ بالنَّفعِ هو الأجرُ، فعبَّرَ عن نفي طلبِهِ الانتفاعَ بنفي الأجرِ.

(الأجر) و(الثَّواب):

يـجـوز أن يقع الأجـــرُ قـبـلَ الفعلِ وبعده، وأمّـا الـثَّـوابُ فبعدَه، واشتُهِرَ في الـجـزاءِ على الحسناتِ

"الأجرُ يكونُ قبلَ الفعلِ المأجورِ عليه، والشَّاهدُ أنَّكَ تقولُ: ما أعملُ حتَّى آخذَ أجري، ولا تقولُ: لا أعملُ حتَّى آخذَ ثوابي؛ لأنَّ الثَّوابَ لا يكون إلَّا بعدَ العملِ، وأيضًا فإنَّ الثَّوابَ قد شُهِرَ في الجزاءِ على الحسناتِ، والأجرُ يُقالُ في هذا المعنى، ويُقالُ على معنى الأجرةِ الَّتي هي من طريق المثامنةِ بأدنى الأثمانِ، وفيها معنى المعاوضةِ بالانتفاع"[3].

(1) الرّاغب، المفردات: (أجر).
(2) الرّاغب، المفردات: (أجر).
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 17.

وفي الآيةِ يناسبهُ الأجرُ؛ لأنَّه نفى الانتفاعَ بالدَّعوةِ، ولم يردْ أن ينفيَ الثَّوابَ عنها، وكذلك فإنَّ الثَّوابَ ليس بمقدورِهم، حتَّى ينفيَهُ عنهم، بل نفى عنهم الأجرَ، وهو الثَّمنُ الَّذي يُعطَى عوضًا عنِ العملِ، فكان الأنسبُ لذلك هو الأجرَ، لا الثَّوابَ.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي عشر، سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 11 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-63-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 11 : سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-63-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9795022 بتاريخ 2023/12/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»